السلام الدولي.. تعدد المهام وتطور المفاهيم

..في ظل الخلل المتعمد في التوازن الدولي وتجاهل ميثاق الأمم المتحدة واستشراء النزاعات المسلحة التي تصاعدت مؤخرا فيكثير من دول العالم بعد ان فضلت بعض الامبراطوريات الكبرى فرض العقيدة العسكرية على الحلول السياسية والاقتصادية التي ثبت نجاحها لحل المشاكل الدولية تزايدت مسؤولية الامم المتحدة وبرزت الحاجة اليها في كثير من الدول التي تعاني من النزاعات المسلحة لتأدية دورها المناط بها والمتمثل في الحفاظ على الامن والسلم الدوليين الذي ينص عليه الفصل السادس من ميثاق المنظمة الدولية .

عبدالملك السلال

ومن هنا تسعى الامم المتحدة لتوسيع دورها لتكون أكثر فعالية واستجابة لمتطلبات السلام من خلال ما يعرف بعمليات حفظ السلام المتعددة الجوانب والمفاهيم والمهام والتي بدأت تشهد في السنوات القليلة الماضية تطورات مهمة- ان لم تكن جذرية - سواء على الصعيد المفاهيمي أو الصعيد العملياتي الآخذة في التوسع والاستخدام بأشكال ومستويات عديدة غير مسبوقة.

أبعاد متعددة

وفي الواقع يقصد بعمليات حفظ السلام - العمليات التي تنظمها الأمم المتحدة وبعض المنظمات الاقليمية الاخرى وتتضمن استخدام افراد عسكريين وضباط شرطة دون ان تكون لهم صلاحيات قتالية بهدف صيانة واستعادة السلام في مناطق توجد فيها منازعات وصراعات وتعتبر عمليات مؤقتة تشتهدف منع تصاعد وتفاقم النزاعات فقط ولا يمتد دورها الى حل الخلافات الساسية التي ادت الى اندلاعه وانما تعمل على توفير المناخ والوقت اللازمين لحل الخلاف عبر التفاوض بين الاطراف المعنية.

ولم تعد الولاية الممنوحة لبعثات حفظ السلام تقتصر فقط على البعدين العسكري والأمني التقليدي والمتمثلين في مراقبة وقف اطلاق النار وتعزيز الاستقرار الامني ونزع أسلحة المتحاربين وانما باتت تأخذ اشكالا جديدة ذات ابعاد غير نمطية تشمل بجانب المهام الامنية والعسكرية - مهاماً انسانية ومدنية واقتصادية وسياسية وهو ما اصبح يعرف بعمليات حفظ السلام متعددة الابعاد .

الاهداف والمبادئ

استخدمت الامم المتحدة منذ نشأتها عام ١٩٤٥م عددا من الوسائل المختلفة للحفاظ على السلم والامن الدوليين ودعم الاستقرار الدولي ، شملت بعض الاساليب السلمية واخرى قسرية وفقا للفصلين السادس والسابع من ميثاق الامم المتحدة ، ولم تكن عمليات حفظ السلام خلال الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٨٩ من الخيارات التي اعتمدت عليها المنظمة الدولية للمساهمة في تحقيق اهدافها وكذلك بالنظر الى ما سببته الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي خلال تلك الفترة من شلل في مجلس الامن - الجهة التي يتعين اللجوء اليها في حالة اقدام الامم المتحدة على انشاء بعثة حفظ سلام دولية- وهو الامر الذي عرقل مساعي الامم المتحدة في انشاء بعثات لحفظ السلام نتيجة لصراعات سياسية وتصادم المصالح على المستوى الدولي ، فخلال تلك الفترة لم تنشر الامم المتحدة سوى ١٥ بعثة لحفظ السلام فقط ، بينما تم نشر ٤١ بعثة منذ ١٩٩٠م وحتى نهاية عام ٢٠٠٣م اي انه من اجمالي ٥٦ بعثة قامت المنظمة الدولية بنشرها منذ نشأتها تم نشر ٧٣٪ منها خلال العقد المنصرم .

ويرجع تزايد عدد عمليات الامم المتحدة لحفظ السلام مؤخرا الى ثلاثة اسباب رئيسية هي :

اولا : تحرر الامم المتحدة (لاسيما مجلس الامن) من القيود التي كانت تعاني منها اثناء الحرب الباردة .

ثانيا : استشراء ظاهرة النزاعات داخل الدول خلال عقد التسعينات الامر الذي أوجد الحاجة الى نشر مزيد من بعثات حفظ السلام .

ثالثا : تزايد اهتمام المجتمع الدولي ومراكز البحث الدولية بعدد من المفاهيم المتحدثة كالدبلوماسية الوقائية ، ومنع النزاعات واجراءات بناء الثقة وبناء السلام وصنع السلام فضلا عن اهتمامها كذلك بتطوير مفهوم عمليات حفظ السلام وأصبحت بعثات حفظ السلام تلعب دورا بارزا في الاستراتيجية الكلية للامم المتحدة وركنا اساسيا من اركان نشاطها الدولي فتوجد اليوم ١٤ بعثة لحفظ السلام تابعة للامم المتحدة (٦ في افريقيا و٣ في اوروبا و٢ في اسيا و٣ في الشرق الاوسط) تساهم فيها ٦٤ دولة بإجمالي ٧٣٢٤٥ ضابطاً عسكرياً وشرطة ، وبلغت ميزانية عمليات حفظ السلام - اثناء الفترة من ١ يوليو ٢٠٠٣م حتى ٣٠ يونيو ٢٠٠٤م - نحو ٣ر٨ مليار دولار كما يجسد حجم اهتمام المنظمة الدولية بحفظ السلام .

تطور مفهوم عمليات السلام

يؤكد الطرح الجديد لمفهوم حفظ السلام الذي برز مؤخرا على ان مساهمة الامم المتحدة في هذا المجال لا يجب ان تتوقف على الاطار التقليدي المستمر منذ الخمسينات والمتمثل في تنفيذ عمليات امنية وعسكرية ، بل يجب ان يواكب المفهوم الجديد المتغيرات الطارئة على الساحة الدولية .

وتشير أدبيات المنظمة الدولية إلى أن أمين عامها كوفي عنان يسعى الى توسيع النطاق العملياتي لبعثات حفظ السلام لكي تشمل - بجانب العمليات الامنية والعسكرية مهاماً سياسية وانسانية وفي بعض الاحيان اقتصادية ، فعلى الصعيد السياسي نجد أن عمليات حفظ السلام أصبحت تضطلع ببعض المهام الجديدة من اهمها تنظيم الانتخابات والاستفتاءات ومراقبة اوضاع حقوق الانسان في اي بلد ينتهك هذه الحقوق . فضلا من تطوير الهياكل الادارية لمؤسسات اي دولة وتدريب كوادرها العاملة ، مثلما يجري حاليا في افغانستان والكثير من الدول الافريقية كما يناط بالبعثات التابعة للامم المتحدة تقديم المساعدات اللازمة للحكومات الانتقالية والتأكد من انتقال السلطة وتداولها بشكل سلمي ، فضلا عن غرس مفهوم الحكم الرشيد بالمجتمع والذي يتمحور في احترام حقوق الانسان وتعزيز الديمقراطية واحترام سيادة القانون وتشجيع المجتمع المدني ومنظماته كي تسهم بدور فاعل في ترسيخ الديمقراطية ومفاهيمها ، والى جانب المشاركة في دفع عجلة التنمية إلى الامام .

أما البعد الانساني لبعثات حفظ السلام فهو لا يقل أهمية عن البعدين الامني والسياسي من حيث تأمين وصول مواد الاغاثة ومساعدة اخلاء المصابين من مناطق القتال وكذا التنسيق مع الوكالات المتخصصة والمنظمات الدولية مثل اللجنة الدولية للصليب الاحمر وبرنامج الغذاء العالمي لتوفير الاحتياجات الاساسية من غذاء ودواء ورعاية طبية وعلى الجانب الاقتصادي تساهم هذه البعثات في تطوير البنية التحتية والصناعية بعيدة المدى لتحقيق التنمية المستدامة ، كما يسعى المفهوم الجديد لعمليات حفظ السلام للارتقاء بالشق الامني والعسكري وكذلك بحيث لا يقتصر العمل العسكري في العمليات الميدانية على مراقبة وقف اطلاق النار واعادة تمركز القوات المتحاربة ، وإنما يشكل برامج لنزع السلاح بما في ذلك ادماج المحاربين القدامى بالمجتمعات المختلفة ، واحياء هيكلة الجيوش الوطنية من تدريب لكوادرها وتطوير معداتها بالاضافة الى غرس مفهوم السياسة غير العسكرية في المجتمعات المدنية -Demiliarized poli tics يشمل تطوير مفهوم عمليات حفظ السلام - جوانب متعددة ومتشابكة تهدف في نهاية المطاف الى اعادة تأهيل المجتمعات - وكذلك من خلال ربط كافة العناصر الاجتماعية في عملية واحدة تؤدي الى استحداث في عمليات حفظ السلام وتغييرها من كونها عمليات ذات طابع امني الى عمليات تسعى لتأهيل المجتمعات الخارجة من نزاعات مسلحة - بشكل متكامل يساعد على اندماجها وعودتها الى المجتمع الدولي ، وهو ما يمكن تطبيقه في المستقبل المنظور بالعراق بعد التأكد من استتباب الاستقرار والأمن فيه .

والجدير بالاهتمام انتفاء ما يسمى السيادة المطلقة للدولة في المفهوم الجديد لعمليات حفظ السلام - بما يحمله من احتمالات فتح الباب امام التدخل الخارجي في الشؤون الداخلية لأي دولة .

تحديات مستقبلية

● يتوقف مدى استجابة الامم المتحدة للاطروحات الجديدة المتعلقة بتحديث عمليات حفظ السلام - متعددة الابعاد - على وجود ارادة سياسية حقيقية من جانب الدول الاعضاء في المنظمة الدولية والمساهمين في عمليات حفظ السلام على وجه الخصوص .. وهو ما يتفق عليه الكثيرون .

ويشكل نجاح المنظمة الدولية في تطبيق مفاهيم حفظ السلام الجديدة تحديا حقيقيا لها في ضوء حداثة المشروع وعدم ثباته حتى الآن بالرغم من ان مفهومه شهد تطويرا في السنوات المنصرمة في الشقين المفاهيمي والعملياتي والاهتمام المتنامي الذي أصبح يستحوذ عليه .

ومن المتوقع ان تشهد الاعوام المقبلة استمرارية في عملية تطوير وتغيير المفاهيم والمبادئ الاساسية لعمليات حفظ السلام وذلك في إطار سعي الامم المتحدة المستمر الى مواكبة متغيرات النظام الدولي الجديد الذي لا يزال في تقدير كثير من منظري العلاقات الدولية - في طور التشكيل .

ومع ذلك فإن نجاح مفهوم حفظ السلام الجديد - على النحو الذي جاء في تقرير الابراهيمي سيتوقف إلى حد كبير على مدى نجاح العمليات الاولى التي سيتم تطبيق المفاهيم الجديدة عليها ، ومدى استيعاب الاطراف المتنازعة للاجراءات الجديدة ، ويعتقد معظم الخبراء ان بعثتي الامم المتحدة في ليبيريا وساحل العاج تعتبران الاختبار الاول للمنظمة الدولية في مدى مقدرتها على استيعاب مفهوم حفظ السلام الجديد، وانه سيترتب على نتائج هاتين البعثتين استمرارية الامم المتحدة في نهجها الجديد أو الاضطرار الى تعديل بعض جوانبه .